

مناسبة الذكرى الثانية

## على محمود طه في شوقياته

للاستاذ عبد القادر رشيد الناصري

- ١ -

لا أريد أن أتحدث في هذا المقال عن شاعر مصر الكبير  
المرحوم على محمود طه كسيد شعراء الغناء العربي منذ امرى  
القيس حتى الآن، ولا أريد أن أبين مواطن الجمال والإبداع في  
دوازينه النفيسة التي أسدرها والتي تضمنت الشيء الكثير من  
شعره في وصف الطبيعة والراة، ولكنني أرد ان أقصر كلني  
هذه على شعره السياسي الذي قاله في مناسبات عديدة؛ والتي  
أوحى به إليه أحداث الشرق العربي المتطلع إلى الحرية والتأثر  
على الظلم والظالمين، لأبدد تلك الفكرة التي تطنى على الأذهان.  
وهي أن المرحوم شاعر الجندول لا يجيد غير وصف الطبيعة  
والغزل بديل قوله:

حياتي قصة بدأت بكأس لها غنيت وامرأة جميلة  
وأنه لم يشارك الشعب آلامه وأحزانه، ولا العربية جماء  
في ثورتها التحررية الكبرى، وأنه لم يكن في مجال هذه المشاركة  
كأميره شوق بك الذي يقول:

كان شمري الغناء في فرح الشرق وكان البكاء في أحزانه  
وأن ما قاله في هذا الضمار لا يتمدى الأبيات التي مجد بها  
مصر. أما الشرق فقد تركه وراء ظهره ..

هذا ما يقوله عندنا بعض القرويين الجاهلين الذين لم يقرأوا  
للشاعر غير ديوان واحد أو ديوانين، ولو كانوا من المتتبعين لقراءة  
نقائس الشعر العربي الحديث اطوا أن لصاحب «أرواح  
شاردة» ديوانا نفخا يضم طائفة صالحة مختارة من شعر الملاحم  
والحروب، والدم والثورة، والجهاد والاستقلال، وهو «شرق  
وغرب» الذي أسدره المرحوم سنة ١٩٤٧ إلى الوجود،

وبصدوره أضاف إلى ذخيرة الشعر العربي الحديث ذخيرة أخرى  
جديرة بالدراسة والحفظ والإعجاب

يقع هذا الديوان في ١٨٢ من ويقسم إلى قسمين: القسم  
الأول باسم «أصداء من الغرب» والقسم الآخر باسم «أصوات  
من الشرق» ونحن نترك الغرب لمشاق الغناء والراة والألحان،  
لنأخذ بالتحدث عن الشوقيات وخصوصا في هذه الظروف التي  
يمر بها الشرق؛ وبعد نكبة العرب بالديار المقدسة على رغم أنف  
الحاممة العربية ذلك المخلوق الكسبيح المزبل

وأول قصيدة من شوقيات شاعر زهر وغر هي «إلى أبناء  
الشرق» ومعلمها هذا

دعوها مني، وأتركوه خيالا فما عرف الحق إلا النضالا  
بنيك بصيحة الشاعر المخلص الرجوة إلى أبناء الشرق  
الإسلامي الذين كانوا يتطلعون إلى قضية فلسطين تطلع الخائف،  
مرتقبين مصيرها في حذر وفرق؛ وهل يعرف الحق إلا الكناح؛  
إذن إلى حمل السلاح على لسان الشاعر

بني الشرق ماذا وراء الوعود تطل عينا وترنو شمالا  
وما حكمة الصمت في عالم تصيح المطامع فيه اقتتالا  
زمانكو جارج لا يف رأيت الضعيف به لا يوال  
ويومكو نهزة الماملين ومضيعة الماملين الكسالي  
ولكن أبناء الشرق الذين فتحوا العالم، وأدبوا الغرب  
وكسروا شوكة الصليبيين؛ لا يلبون النداء الحار، فهتف به الشاعر  
مذكرا

ألسنا بني الشرق من يعرب أصولا سميت وجياها تماي  
أجئنا نسائل عطف الحليف وزقب منه الندى والنوال؟  
ولكن الشرقين كما عهدناهم في هذا العصر لا يفغنون  
لأن المالكين تحت إمرة لأجنبي علمهم المنوع والكسل، ولكن  
الشاعر يذكركم ويذكر الحلفاء

فلسطين مالي أرى جرحها يحيل وبأبي النداء اندمالا  
وأفريقيا ما لإسلامها بسلام عبودية واحتلالا  
على نونس ويمراكش نروح السيوف وتقدوا اختيالا  
ويسترسل الشاعر في وصفه حتى يحتم تلك الملاحمة الرائعة

كصلاح الدين وفارس كابد الوليد ، اسكى يعيد مجد فلسطين  
كما كانت في عهد عمر ، وصاروية ، والرشيد  
ثم يحتتم قصيدته مخاطبا الغرب بقوله

ويا أيها الغرب الواعد لا ترد كفى الشرق زاد أمن وعود وأقوال  
شبهنا وجمنا من خيال منق ومنه اكتسبنا ، ثم عدنا بأعمال  
فلا نعذب الضعفى وتنصب حقوقهم فتلك إذا كانت .. شريفة أذغال

وهل فات الشرق أن الغرب لا يعرف إلا الظلم والدم والنار ،  
وأن ما سفه من حقوق لا يتعدى حبرا على ورق ولا تطبق عنده  
إلا الثريسة الثاب . وقانون الرجل الأول ١٩ ..

« وفي مساء يوم الخميس المصادف ٣٠ يونيو سنة ١٩٤٦  
تفاجأ مصر والعالم العربى قاطبة مفاجأة سارة بظهور  
مفتى الديار الفلسطينية السيد أمين الحسينى فى  
قصر طابدين السامر لاجئا إلى ساحة البيت العلوى الكبير الكرم  
بمد خروجه خفية من باريس بنحو أسبوعين ، وقد أمنه الفاروق  
الظيم على حياته وأكرم وادته . الخ » (١) فما كان من الشاعر  
إلا أن حياه بقصيدة رائمة تمد من عيون الشعر الحديث بفتحتها  
بهذا المطلع الجبار

حيثك فى الشرق آمال وأحلام وقيلتك جراحات وآلام  
الذى يصف فيه أجمل وصف شعور الشرق باستقبال المجاهد  
الكريم ؛ وكذلك وصف الديار المصرية التى ترحب بكل طريد  
عربى .. وباليقنا كنا أحد الذين يقضون البقية الباقية من حياتهم  
فيها وبين أهلها الأحباء الشكرام .. فيقول

ديار « فاروق » من بلجيا أساحتها فقد سمته من الأحداث آجام  
بطيب للعربى المستخير بها معاشه ويرق الماء والجمام  
ويحطم القلم المانى بمومتها أسفاده ، ويحك القيد ضرقام  
وحب مصر ، أن أرباب الفكر ، وأصحاب العقائد ، وحلة  
مشاعل الحرية والأدباء والشعراء لا يضطهدون أو يمدبون ،  
وحب الفاروق شرفا أنه أصل هذا الكرم العتيد والمجد الرقيق  
والبناء الضخم الوطن الأركان .. ولا أريد أن أستمرل فى وصف  
هذه الأبيات الرائمة أو أثرها فى النفس والشعور؛ وقيمتها فى

(١) من مقدمة قصيدته « من الأملح » ص ٨٦ « الديوان »

بهذا الدعاء المضطرم بالإخاء والإيمان

بنى الشرق كونوا لأوطانكم قوى تتحدى الهوى والفضلالا  
أقيموا صدوركم للخطوب فاشط طالب حق وقبال

وقد كان الشاعر فى ممرير مرضه عندما بدأ بإثارة شعور  
إخوانه العرب عامة والعربيين خاصة فى سبيل طردهم المستعمر  
القاسم ورد حقهم السليب ، فقال فى المقام

فزعت لكم من وراء السقام وقد جمل الشيب رأسى اشتمالا  
وما أن يكيت الهوى والشباب . ولكن ذكرت الملى والرجالا  
نم لقد بكيت الرجال . وحق لك أن تبكى الرجال فى مواطن  
خات لإامن أشباه الرجال ..

وفى « يوم فلسطين » وهى القصيدة الثانية من الشريقات؛  
يمدور الشاعر غضب الأمة العربية فى إضرابها العام الذى صدر  
فى اليوم الثانى من نوفمبر سنة ١٩٤٥ حدادا واحتجاجا على  
وعد بلفور المشنوم . ويكبر البطولة والشجاعة فى الفاطنيين  
الأحرار الذين استشهدوا فى سبيل بلادهم وبمجد الشعب الفاطينى  
الناضل ، فى جهاده الطويل وصبره على الشدائد ، وإبانته وعدم  
خنوعه إلى الأجنبي طيلة أيام الثورة ، فيهدف من صميم قلبه

فلسطين لاراعتك صيحة منتقال سلمت لأجيال ، وعشت لأبطال  
ولا عرك الجليل الفدى ولا خبت لقولك نار فى ذرائب أجيال  
سمحت باديات الشرق تحت فيارم على خليجات الروح من تربك النالى  
فوارس يستهدى أعنة خيلهم دم العرب الفادين والسؤدد المالى

ثم يتطرق إلى وصف النترق سبببحة التقسيم بهذا الوصف الرائع  
هو الشرق لم يهدأ بصيغ ولم يطب وقادا على ليل رماك بزوال  
فداة أذاعوا أنك اليوم قسمة لكل غريب دأم التيه جوال  
قضى عمر مرجع الوطن - واسم مواطنها - ما بين حل وزحال  
وما حل دار أفيك يوما .. ولا هفت على قلبه ذكر الكمن ههد أسرال

أى والله بإساحب الملاح التائه !! إن النكبة التى منى بها العرب  
فى فلسطين يوم ساط عليها الإنجليز والأمريكان شذاذ الآفاق ،  
الناجيس الرطديد ، ستبقى مطبوعة فى كل قلب حر مادام لاوطن  
العربى الكبير بقاء ؟ وإن الأرض المقدسة التى حلها أوباش  
اليهود التائبين كما لا تتطهر إلا بظهور عظيم كبخت نصر؟ ويطل